

المبحث الرابع
النبوة الخاصة

المطلب الأول
إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ

تقدم أن إثبات النبوة لا يكون إلا باجتماع أمرين :
أولهما : ادعاء النبوة .
وثانيهما : إظهار المعجزة .
فكل من ادعى النبوة وأظهر المعجزة فهو نبي .
وهذان الأمران يثبتان نبوة محمد ﷺ ، وهما يشكلان المبدأ الأول في إثباتها ،
وهناك أمور أخرى تُعد شواهد مؤكدة ومقررة لنبوته ﷺ .
وإليك توضيح الأمرين المُثبتين لنبوة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، وهما :

الأول: ادعاء النبوة

تواتر عن النبي ﷺ أنه ادعى النبوة بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعَيَان
والمشاهدة .

الثاني: إظهار المعجزة

ثبت عن الرسول ﷺ أنه أظهر المعجزة.

معجزات الرسول ﷺ:

ومعجزاته نوعان:

النوع الأول:

كمعجزات الرسل والأنبياء السابقين قصيرة الأمد، زالت بزوال أيامها، وبموت من شاهدها. والمتطلع إليها لا يجدها إلا في الأخبار، كمعجزات موسى عليه السلام من: قلب العصا حية، وفلقها البحر، ومعجزات عيسى عليه السلام كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى... إلخ.

ومن هذه المعجزات ما ثبت بالقرآن الكريم، أو نقل إلينا بالخبر المتواتر مثل:

أ - انشقاق القمر الثابت بالقرآن الكريم: ﴿أَفَرَبَّيْتِ السَّاعَةَ وَأَنشَقَّتِ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ﴾ [القمر: ١ - ٢].

والأحاديث في هذا زاخرة كثيرة من طرق عدة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

ب - نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام حين التمس الناس مع الرسول ﷺ الماء للوضوء فلم يجدوه، فدعا بإناء فيه ماء، فوضع الرسول ﷺ يده في ذلك الإناء، فنبع الماء من تحت أصابعه، فتوضأ جميع الناس إلى آخرهم.

وهذه المعجزة تكررت عدة مرات، كما ثبت ذلك في البخاري ومسلم وغيرهما.

ج - إبراء المريض بلمسه عليه السلام كما في البخاري ومسلم وأصحاب السنن في وقائع كثيرة.

د - إخباره بحوادث قبل وقوعها، وهو كثير جداً مثل:

١ - أخرج أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم كثير، ولكنكم غفلة كغفلة السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

والذي ينظر إلى وضع المسلمين منذ أن اضمحل سلطانهم في الأرض، يجد طمعَ العالم والكيد للمسلمين مع كثرتهم الكاثرة.

٢ - روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يُضْرَبُونَ بِهَا النَّاسُ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُنَّ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٢).

والناظر في أمة الإسلام بعد قرونها الأولى، يجد الصنف الأول من شيوع الظلم وإيذاء الناس، ويجد في عصرنا الحاضر الصورة الدقيقة للنساء في عريهن وفتنتهن... التي رسمها الحديث.

٣ - قوله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا، فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ، أَصَابَهُ مِنْ غِبَارِهِ»^(٣).

ومن المعلوم أن الحياة الاقتصادية الحاضرة تقوم على الربا بالمصارف وغيرها، وهذا إخبار عما نحن فيه.

٤ - روى البخاري ومسلم^(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضْيِئُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُضْرَى» وَبُضْرَى مَدِينَةٌ بِالشَّامِ.

فأنبأنا عن حدوث بركان عظيم، من المكان الذي عيّنه النبي ﷺ، فقد حدث الثَّوَوِي عن السَّمُودِيِّ، وكانت في زمنه سنة ٦٥٤ هـ، وقد فصل القول فيها عن زلزالها ودويها ونارها، وقال أخيراً: «إِنْ ضَوْءُهَا اسْتَوْلَى عَلَى مَا بَطْنُ وَمَا ظَهْرُ، حَتَّى كَأَنَّ الْحَرَمَ وَالْمَدِينَةَ قَدْ أَشْرَقَتْ بِهِمَا الشَّمْسُ، وَتَأَثَّرَ مِنْ لَهْبِهَا النِّيرَانُ، وَصَارَ نُورٌ

(١) أبو داود - كتاب الملاحم - باب تداعي الأمم على الإسلام ج ١ ص ٤٨٣.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ - بَابُ النِّسَاءِ الْكَاسِيَّاتِ الْعَارِيَّاتِ .. ج ٣ ص ١٦٨٠ وَكِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةُ نَعِيمِهَا - بَابُ النَّارِ يَدْخُلُهَا الْجِبَارُونَ ج ٤ ص ٢١٩٢.

وَالْبُخْتُ: الْإِبِلُ الْخِرَاسَانِيَّةُ. وَاحِدُهُ جَمْلٌ بَخْتِي وَنَاقَةٌ بَخْتِيَّةٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ج ٢ ص ١٣٣ وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ - بَابُ خُرُوجِ النَّارِ.

وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ - بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ. / اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ص ٨١٣.

الشمس على الأرض يعتريه صفرة، ولونها هي يعتريه حمرة، والقمر كأنه خسف» وذكر هذه النار القاضي سينان والقاشاني والعماد ابن كثير والمطري وغيرهم^(١).

النوع الثاني:

نوع خالد خلود الدهر، مائل في كل حين، ألا وهو القرآن الكريم. وهنا نتبع بعض جوانبه الدالة على أنه معجزة سيدنا محمد ﷺ وأنه من عند الله تعالى.



القرآن الكريم

القرآن في اللغة: مصدر قرأ، كالغفران مصدر غفر.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنعِقْ نَفْسًا ۚ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٨].

وفي الاصطلاح: هو كلام الله تعالى، المنزل على الرسول محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته^(٢).

وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، وهو التشريع الخالد لكل زمان ومكان.

والقرآن الكريم معجز، أعجز البشر عن أن يأتوا بسورة من مثله. وهنا لا بد أن نقيم الدليل على إعجازه، لتسلم لنا نبوة محمد ﷺ، ويسلم الإسلام كله بعد ذلك.



(١) كتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما والشفيا للقاضي عياض وإعلام النبوة للماوردي ودلائل النبوة للبيهقي والرسول - سعيد حوى ج ٢ ص ١٣٠ وهذه الأمثلة غرض من غرض.

(٢) فتح الغفار لابن نجيم ج ١ ص ١٠ وجمع الجوامع بشرح البثاني ج ١ ص ٢٢٣ وعلم أصول الفقه عبد الوهاب خلاص ص ٢٢.

